الابتلاء الإلهي

نبي الله أيوب عليه السلام نموذجاً

الابتلاء الإلهي

نبي الله أيوب عليه السلام نموذجاً

تأليف

الشيخ عبد الجليل المكراني

الطبعة الأولى
٢٠١١م - ١٤٣٢هـ
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

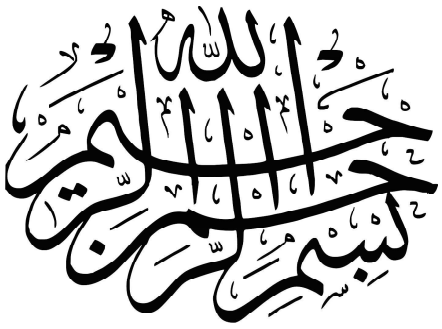

الإهداء

إلى قائد الغر المحجلين..

إلى مولى الموحدين..

إلى إمام المتقين..

إلى وصي خاتم الأنبياء والمرسلين..

إلى أبي الحسن والحسين..

إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..

أهدي هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى عز وجل أن يمن علي بحسن القبول إنه نعم المولى ونعم النصير.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه ونيّر برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقّه قضاءً ولشكره أداءً، وإلى ثوابه مقرّباً، ولحسن مزيده موجباً. ونستعين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطّول، مذعن له بالعمل والقول. ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخنع له مذعناً، وأخلص له موحّداً، وعظّمه ممجّداً، ولاذ به راغباً مجتهداً. لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً.

وأُصلّي وأُسلّم على أشرف الخلق أجمعين، المسمّى في السماء بأحمد وفي الأرض بأبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الابتلاء الإلهي واحد من السنن الإلهية التاريخية التي لم يخلُ منها مكان ولا زمان، فما دام الإنسان في عالم الدنيا فهو

معرّض لجريان هذه السنّة الإلهية، صالحاً كان أم طالحاً، خيراً عمل أم شرّاً، نبياً كان أم طاغوتاً، مسلماً كان أم كافراً، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[1].

ولهذا فقد جاءت الأحاديث الشريفة وهي تؤكّد على عمومية وشمولية هذه السنّة الإلهية لجميع طبقات الناس؛ حيث جاء في بعضها أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هم أكثر الناس ابتلاءً ثمّ الأمثل فالأمثل. ولكن هذا لا يعني أنّ الابتلاء يأتي انتقاماً منه سبحانه وتعالى، أو تعذيباً ومحاسبةً منه لعباده، وإنّما يختلف هذا الأمر باختلاف الناس؛ فمنه لا يكون إلاّ رحمة منه تعالى لهذا المبتلى، ومنه لا يكون إلاّ نقمة وعذاباً ومحاسبةً لذلك المبتلى.

ومن بين الأنبياء عليهم السلام الذين ابتلاهم الله تعالى بأنواع خاصّة من الابتلاءات، هو نبي الله أيوب عليه السلام، لا لذنب اقترفه ـ والعياذ بالله ـ لأنّه كان عبداً شكوراً، بل ولم يسأل ربّه رفعه عنه حتّى مسّه الضرّ كما جاء ذلك في قصته عليه السلام؛ حيث قال تعالى عنه: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**

(١) سورة العنكبوت: ٢ ـ ٣.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[١].

وإنّ مَن يتأمل في قصّة أيوب عليه السلام وما جاء فيها من الدروس والعبر العظيمة، فسوف تهون عليه الكثير من الابتلاءات والمحن التي يتعرّض لها في عالم الدنيا؛ لأنّه ستتجلى له آلية التحمّل والمواجهة لكلّ ما يتعرض إليه وهو يقرأ في هذه القصة القرآنية التي استطاع فيها الإنسان ـ كأيوب عليه السلام ـ أن يجمع بين الشكر لله تعالى والصبر على تحمّل المصيبة والابتلاء الإلهي العظيم.

وتجدر الإشارة إلى أننا حاولنا في هذا الكتاب أن نجعل منه دراسة أوّلية تدور فصولها حول هذه الشخصية الإلهية العظيمة التي تحمّلت ما تحمّلت حينما حلّ بها من عظيم المحنة والابتلاء الإلهي حتّى انتهى الأمر بنجاحها العظيم وفوزها بالسعادة الكبرى في الدارين؛ فكشف عنها الضرّ وعاد إليها كلٌّ ما فقدته وافتقدته أثناء جريان هذا الابتلاء الإلهي عليها؛ حيث عادت إليه عليه السلام صحته وأهله، وأمواله وحلاله، ليعيش بعد ذلك حياةً هنيئة سعيدة في هذه الدنيا وله في الآخرة أفضل منها، بل ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢].

(١) سورة الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤.
(٢) سورة التوبة: ٧٢.

وكيف كان فقد جاءت فكرة تأليف هذا الكتاب في بداية الأمر بأن أكتب مقالة تصوّر لنا هذه القصة القرآنية التاريخية؛ لأهمّيتها من جهة، ولأخذ الدروس والعبر منها من جهة أُخرى، ثمّ بعد ذلك أخذتُ بمرور الوقت أُطالع فيها؛ فرأيت أن أجعل منها كُتيّباً صغيراً يستفيد منه الجميع، وقد شجعني على ذلك بعض الإخوة المؤمنين من زملائي في الحوزة العلمية؛ فدفع بي ذلك لمراجعتها وإضافة بعض الشيء عليها، كخطوة أولى لي في طريق دراسة قصص هؤلاء الأنبياء العظماء عليهم السلام. ولا أدّعي في ذلك الكمال، بل هو عمل إنسان غير معصوم عن السهو والخطأ والاشتباه، فما كان فيه من حسن فهو من عند الله وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ واشتباه فهو من عند نفسي، ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ**﴾[1].

ولكن لمّا وجدت في بعض روايات العامة من نقل بعض الأُمور الموجبة لتشويه صور بعض الأنبياء عليهم السلام؛ إثر الكذب والافتراء على الله ورسوله، والدس والوضع والانتحال الذي لحق بروايات وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله ـ كما سيتبيّن لنا في فصول هذا الكتاب ـ أخذت على نفسي أن أكتب حول هذا الموضوع، ومن خلال ذلك سأتعرض لبيان

(١) سورة يوسف: ٥٣.

عـدم صـحة هـذه النقولات والأحاديث المروية عن النبيﷺ حتّى ولـو كانـت فـي أصـح الكـتب وأكثرها اعتباراً؛ لأنّ مهمة الباحث أو الكاتب أو المحقق هي بيان الحقيقة وكشف الواقع على ما هو عليه.

وفـي الخـتام ـ ولـيس آخـراً ـ أسـأل المولـى العلـي القدير أن يتقـبّل مـنّا هـذا القليل، وأن يوفّقنا وجميع المؤمنين لمواصلة العمل في هذا النهج القويم، إنّه نعم المولى ونعم الناصر والمعين.

عبد الجليل المكراني

بحوث عامة

- الابتلاء في الذكر الحكيم
- سنة الابتلاء
- حتمية الفتنة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام
- الاختبار الإلهي... لماذا؟
- الاختبار الإلهي عام
- طرق الاختبار
- الاختبار الإلهي للأنبياء عليهم السلام

الابتلاء في آيات الذكر الحكيم

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَيوب إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا به منْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً منْ عنْدنَا وَذكْرَى للْعَابدينَ﴾[1].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أيوب إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنيَ الشَّيْطَانُ بنُصْب وَعَذَاب * ارْكُضْ برجْلكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً منَّا وَذكْرَى لأُولي الأَلْبَاب * وَخُذْ بيَدكَ ضغْثاً فَاضْربْ به وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابراً نعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[2].

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿أَحَسبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذينَ منْ قَبْلهمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذبينَ﴾[3].

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) سورة ص: ٤١ ـ ٤٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٢ ـ ٣.

٤ ـ وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١].

٥ ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾[٢].

٦ ـ ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٣].

٧ ـ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤].

٨ ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[٥].

٩ ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٦].

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة ص: ٣٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٦٨.

(٥) سورة محمد: ٣١.

(٦) سورة البقرة: ١٥٥.

١٠ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

سنة الابتلاء

إنّ من أهمّ السنن الإلهية في حركة الإنسان بشكل عام، والمؤمن منه بشكل خاصّ، هي سنّة الابتلاء والاختبار الإلهي. وليس من السهولة بمكان حصر هذه السنّة الإلهية والقانون الربّاني بمورد معيّن أو في إطار خاصّ؛ لأنّ الابتلاء والامتحان فعلٌ إلهي محض لا يستطيع الإنسان الإحاطة به أو استيعابه.

ومن هنا نقول: إنّ الامتحان الإلهي للإنسان خارج عن حدود معرفة الإنسان واطّلاعه، بمعنى أنّه لا يعلم متى يأتيه البلاء الإلهي، وفي أيّة صورة يجري عليه.

ثمّ إنّ هذا الابتلاء الإلهي والاختبار الربّاني يشمل كلّ أفراد الإنسان ـ كما سيتبين لنا ذلك ـ إذ لا يوجد فرق بين شخص وآخر، مؤمناً كان أو كافراً إلاّ من حيث طبيعة ونوع الابتلاء، وكيفيته والهدف منه؛ فالكافر له بلاء خاصّ يختلف عن بلاء المؤمن، ولا شك إذاً بأنّ هناك بلاءً عامّاً يجري على كلِّ أفراد الإنسان.

وعليه فإنّ سنّة الابتلاء والامتحان سنّة لا مناص عنها، وأنّها

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

جارية في المؤمن والكافر على حدّ سواء، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[١]، فالله سبحانه مبتليهما؛ وذلك ليخرج ما في باطنهما إلى ساحة الكشف والظهور؛ فيتمحّض الكافر للنار، ويتميّز الخبيث من الطيب في المؤمن[٢].

حتمية الفتنة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه ـ وهو ترجمان الوحي ومبيّن حقائقه ـ إلى حتمية الفتن قائلاً: « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلاّ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلاّتِ الْفِتَنِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٣]. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ؛ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ»[٤].

(١) سورة فاطر: ٤٣.

(٢) تفسير الميزان ٤: ٨٧.

(٣) سورة الأنفال: ٢٨.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٢١.

الاختبار الالهي.. لماذا؟

يجد كلٌّ واحد في فكره وحساباته أكثر من تساؤل واستفهام حول جدوائية الاختبار والامتحان الإلهي للبشر والهدف منه، ولعلّ أوّل ما يتبادر في هذا المجال هو السؤال عن سبب هذا الاختبار والامتحان وعلّته.

لقد اعتاد الناس بأن يختبر بعضهم البعض الآخر؛ وذلك من أجل فهم ما يجهلونه منهم، ولا سبيل إلى كشف نوايا الآخرين وخفاياهم إلاّ بذلك. لكن هل الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الاختبار لعباده وهو العالم بكلِّ الخفايا والأسرار؟ وهل هناك شيء في أفعال الإنسان وسلوكياته مستور عن العلم الإلهي حتّى يتبيّن بهذا الامتحان؟ أو كما يقول بعض المفكرين[1]: نحن نختبر طلاّب الطب لأننا نحتاج إلى أطبّاء أكفّاء حتّى لا يموت المرضى، ونختبر السيارة في المصنع لأننا نريد سيارات جيدة لا تنفجر أو تقتل من يقودها.

إذاً في كلِّ الاختبارات توجد هناك حاجة لهذا الاختبار، فيا تُرى ما هي هذه الحاجة في الاختبار الإلهي؟ وما هي الحاجة التي من أجلها يختبرنا الله؟

---

(١) وهو كمال النجار من الكتّاب المعاصرين.

الجـواب: هـو أنّ مفهـوم الاختـبار الإلهـي والهـدف مـنه يختلف عن مفهوم الاختبار البشري وهدفه؛ إذ الغرض من هذا الأخيـر ـ كمـا ذكـرت آنفـاً ـ هـو رفـع الإبهـام الحاصـل نتيجة الجهـل بالطـرف الآخر، بينما لا يهدف الاختبار الإلهي إلاّ إلى تـربية الفرد وبنائه وصقله، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في أكثـر مـن عـشرين موضـعاً؛ حـيث تحـدّث هـناك عـن الاختبار والتمحـيص الإلهي، وأنه سنّة كونية لا تنفك بحال من الأحوال عـن عـالم الموجودات بشكل عام والإنسان منها بشكل خاص، مشيراً إلى أنَّ الحياة التي يكون ملؤها الرخاء والسعة والاستقرار هـي بمـثابة الغطـاء المـزيّف الـذي يـستر حـالات الـضعف لـدى الإنـسان، ويخفـي نواقـصه الكامـنة التـي لا تظهـر إلاّ حين المحنة والاختـبار الـصعب، وعلـيه فهذا الامتحان هو الذي يتكفّل بتفجير الطاقات الكامنة في الإنسان ونقلها من القوّة إلى الفعل.

فكمـا أنّ الفـولاذ لا يـتخلّص مـن شـوائبه إلاّ عـند صـهره فـي الأفـران الخاصـة، كـذلك الإنسان لا يخلص ولا ينقى إلاّ في خضمِّ الحوادث، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحدّيات[1].

(١) راجع: تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي ١: ٤٤٢.

وكـذلك القائد العسكري ـ مثلاً ـ فإنّه لو أراد تصعيد معنويات جيـشه ورفـع عـزائمهم فإنّـه يُلـزِم جـنوده بإجـراء بعـض المناورات الحربية والمعارك الوهمية، وقد يعانون فيها العطش والجوع، والحرّ والبـرد، ويواجهـون فـيها الظـروف الصعبة والحواجز المنيعة، وبهذا الفعـل يـستطيع القائـد أن يكتـشف المستوى الحقيقي لأفراد جيشه، ويعـرف مـدى استعداد كلّ واحد منهم لما يريده منه. وهذه صورة تقريبية ليس إلاّ؛ ذلك لأنّه تعالى علاّم الغيوب.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاختبار والبلاء في أكثر من موضـع كمـا بيّـنا؛ حـيث قال تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[1].

وقـال تعالـى أيـضاً: ﴿**إِنْ يَمْسَـسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِـنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَـقَ الْكَافِـرِينَ* أَمْ حَـسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾[2].

وفـي هـذا الـصدد يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان سبب

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠ ـ ١٤٢.

الاختبارات الإلهية: «... **وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِتَظْهَرَ الأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ...** »[1]، أي أنّ الصفات الكامنة لا يمكن أن تكون وحدها معياراً للثواب والعقاب، فلا بدّ أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، والله يختبر عباده ليتجلّى ما يضمرونه في أعمالهم حتّى تنتقل قابلياتهم من القوة إلى الفعل كما أشرنا، وبذلك يستحقون الثواب أو العقاب، أو يتكاملون في حياتهم ومعائشهم.

الاختبار الإلهي عام

إنّ نظام الحياة في هذا الكون نظام تربوي متكامل، والمطلوب من كلّ الموجودات الحيّة إظهار الثمرة الكامنة في قابلياتها، ومن هنا فإنّ كلَّ البشر وحتّى الأنبياء عليهم السلام مشمولون بقانون الابتلاء والاختبار الإلهي؛ لكي تنجلي قدراتهم وتظهر قابلياتهم واستعداداتهم. فالامتحانات تشمل الجميع وإن اختلفت من شخص لآخر قوّةً وضعفاً، وبالتالي فإنَّ نتائجها تختلف أيضاً؛ فالعالم ـ مثلاً ـ يختبره الله بما أعطاه من علم ومعرفة، يقول سبحانه: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾[2].

(١) نهج البلاغة ٤: ٢١.

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

وفي هذا المجال يعرض القرآن الكريم نماذج لاختبارات الأنبياء عليهم السلام؛ لكي يشعر جميع العباد بأنّ هذه الامتحانات إنّما هي شاملة للبشرية جمعاء دون استثناء، فيقول تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ...﴾[1].

ويقول في موضع آخر بشأن اختبار سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[2].

طرق الاختبار

قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[3]، إنّ هذه الآية الكريمة تشير إلى وجود أنواع وطرق للاختبار والابتلاء، منها ما يتّصف بالشرّ تارة، ومنها ما يتّصف بالخير تارة أُخرى، مضافاً إلى هذا فقد ذكر القرآن الكريم في آيات أُخرى نماذج من الاختبارات؛ كالاختبار في العقيدة، والابتلاء بالتكليف والمحن والشدائد؛ كالخوف والجوع والأضرار المالية والموت وغيرها.

والناس إزاء هذه الاختبارات الإلهية على نوعين:

الأول: المتفوّقون في الامتحان.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥.

الثاني: الخاسرون فيه.

فعندما تسود حالة معيّنة من حالات الخوف أو الذعر مثلاً، نرى أنَّ هناك جماعة من الناس يتراجعون القهقرى إلى الوراء والخلف، أو نراهم يختبئون خوفاً من أن تصيبهم دائرة السوء أو المكروه؛ فينفضون أيديهم من المسؤولية، أو يلجؤون إلى المداهنة أو التماس الأعذار، وهذا ما يحكيه عنهم القرآن في قوله تعالى: ﴿**نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ**﴾[1].

وعلى العكس من ذلك نرى ثمة جماعة تقف كالطود الأشم أمام كلِّ المخاوف، تزداد توكّلاً وإيماناً، وعزماً وصلابةً، وهذا ما حكاه عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[2].

نعم، هكذا تكون مواقف الناس من ألوان الامتحانات والاختبارات الأُخرى، الأمر الذي جعل القرآن الكريم يعرض لنا نماذجَ من مواقف الناجحين والفاشلين في هذا الاختبار الإلهي، وهذا ما سنتناوله في محلّه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة: ٥٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

أولاً: الاختبار بالخير والشر

من قوانين الابتلاء الإلهي وتطبيقاته قانون الخير والشر؛ إذ إنّ الامتحان الإلهي لا يأتي عن طريق الحوادث الصعبة القاسية فحسب، بل قد يمتحن الله عبده بالخير ووفور النعمة، وكذا بالشرّ وشحة النعيم، وهذا ما بيّنه سبحانه وتعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾[1]. ويقول سبحانه أيضاً في موضع آخر على لسان نبيه سليمان عليه السلام: ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾[2].

وهنا ينبغي الإشارة إلى مسائلَ عدّة:

١ ـ أنّ الامتحان بالشرّ هو امتحان مباشر يدركه عامة الناس على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم، فكلُّ مَن وقع عليه يدرك غالباً بأنّه مبتلىً ومختبر، وأمّا الامتحان بالخير فهو امتحان غير مباشر لا يدركه حقيقةً إلاّ مَن صدق إيمانه وصفت بصيرته، فيدرك أنّه مسؤول عن كلِّ ما يتفضل الله به عليه من الخير الكثير.

٢ ـ قد يُبتلى الإنسان بشيء يكون ظاهره شرّاً ومكروهاً، لكنّه في حقيقته الخيرُ بعينه، وقد يكون عكس ذلك تماماً كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً**

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

٣ ـ أنه ليس من الضروري بمكان أن يختبر الله تعالى الناسَ جميعاً بكافة وسائل الاختبار والابتلاء، بل من الممكن أن يكون هناك اختبارٌ لكلِّ فئةٍ معينةٍ بنوعٍ من الاختبار الذي يتناسب مع الوضع الفردي والاجتماعي لتلك الفئة.

٤ ـ من الممكن أن يجتاز الإنسان بعض الامتحانات وينجح فيها، بينما يفشل في امتحانات أُخرى.

٥ ـ ربما يكون امتحان شخص ما موضع امتحانٍ لآخر، كأن يكون موت ولد زيد ـ مثلاً ـ موضع امتحان أصدقائه وأقربائه؛ ليرى مدى اتخاذهم موقف المواساة من صاحبهم.

٦ ـ قد يُختبر بعض أصحاب المقامات العالية والدرجات الرفيعة بسبب ثقل مسؤولياتهم وخطورتها بكثير من اختبار الآخرين، وهذا ما تعرضه لنا صور قصص الأنبياء وأوصيائهم من خلال الاختبارات الشديدة التي مرّوا بها؛ حيث إنّ البعض منهم قد مرَّ بمراحل طويلة شاقة قبل وصوله إلى مقام الرسالة أو النبوة؛ وذلك ليكون على أتمّ الاستعداد لتحمّل أعباء هذه المسؤولية في

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

قيادة أُمّته وتغيير واقعها الموروث ومن ثمَّ هدايتها إلى جادة الحق.

وهناك نماذج رائعة من أتباع مدرسة الأنبياء عليهم السلام عُدّ كل واحد منهم قدوة في ساحة الامتحان الإلهي؛ وذلك لصبرهم واحتسابهم في مواجهة الابتلاءت؛ فقد روي أنّ هناك امرأة تدعى (أُم عقيل) كانت تسكن في البادية، وذات يوم نزل عليها ضيفان، وكان ولدها عقيل يرعى الإبل، فأُخبرت بأنّه قد ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر فهلك، فقالت المرأة للناعي: انزل واقضِ ذمام القوم. ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه، وقرّب إلى القوم الطعام، فجعلوا يأكلون ويتعجّبون من صبرها.

قال الراوي: فلمّا فرغنا خرجت إلينا وقالت: يا قوم، هل فيكم من يُحسن من كتاب الله شيئاً؟

فقلت: نعم.

قالت: فاقرأ عليَّ آيات أتعزّى بها عن ولدي.

فقرأت: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[1].

فقالت: السلام عليكم، ثمّ صفّت قدميها وصلّت ركعات، ثم قالت: اللهمّ إنّي فعلت ما أمرتني، فأنجز لي ما وعدتني، ولو بقي

(١) سورة البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦.

أحد لأحد ـ قال: فقلت في نفسي: لبقي ابني لحاجتي إليه فقالت ـ لبقي محمد صلى الله عليه وآله لأُمّته[١].

ثانياً: الابتلاء بالبأساء والضراء

من القوانين والسنن الإلهية في اختبار الأُمم والأفراد الابتلاء بالبأساء والضرّاء، حيث يقول تعالى في ذلك: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**﴾[٢].

وقد نزلت هذه الآية عندما حوصر المسلمون في غزوة الأحزاب واشتدّ بهم الخوف والفزع، فجاءت الآية لتثبّت قلوبهم وتعدهم بالنصر.

وقيل: إنّ عبد الله بن أُبي قال للمسلمين عند فشلهم في غزوة أُحد: إلى متى تتعرضون للقتل؟! ولو كان محمّد نبياً لما واجهتم الأسر والتقتيل!

فالبأساء هي الشدّة المتوجّهة إلى الإنسان من خارج نفسه؛ كالمال والجاه والأهل.

---

(١) بحار الأنوار ٧٩: ١٥٣.

(٢) سورة البقرة: ٢١٤.

وأمّا الضراء فهي تعني الشدّة التي تصيب الإنسان نفسه؛ كالجرح والقتل.

وقيل: إنّ (البأساء) نقيض (النعماء)، و(الضراء) نقيض (السرّاء).

والزلزلة: هي شدة الحركة، والزلزال البلية المزعجة لشدة الحركة، والجمع زلازل، وأصله من قولك: زلّ الشيء عن مكانه، وقد ضوعف لفظه ليدل على المعنى الأشد.

وبهذا المعنى توجد آيات أُخر في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿**وَالصّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضّرّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الّذِينَ صَدَقُوْا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتّقُونَ**﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضّرّاءِ لَعَلّهُمْ يَتَضَرّعُونَ**﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيّ إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضّرّاءِ لَعَلّهُمْ يَضّرّعُونَ**﴾[3].

فهذه الآيات وما شابهها تدلّ بمجموعها على أنّ الابتلاء بالبأساء والضرّاء سنّة إلهية جارية في الأُمم كافة على حدٍّ سواء، وهي لا تختص بالأُمّة الإسلاميّة لوحدها؛ وذلك من أجل التمحيص وتمييز

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة الأنعام: ٤٢.

(٣) سورة الأعراف: ٩٤.

المؤمن الصابر عن غيره، فلا يتمحّض إيمان المؤمن إلاّ إذا غُربل بغربلة الامتحان؛ ليخرج نقياً، ولا يترسّخ الإيمان في قلبه إلاّ من خلال الصمود والثبات أمام أعاصير الفتن الهوجاء.

إذاً الهدف الرئيسي من امتحان أبناء البشر هو تحصيل العلم بكفاءة الممتحَن، وإظهار ما بالقوة من الكمال إلى الفعلية. مثلاً: إنّ إبراهيم عليه السلام كان يتمتع بموهبة التفاني في الله وبذل ما يملك في سبيله، غير أنّ هذه الصفة لم يكن لها ظهور وبروز، فلما وقع في بوتقة الامتحان ظهرت تلك الموهبة إلى الوجود بعد ما كانت بالقوة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَإِذ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمّهُنّ قَالَ إِنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ**﴾[1].

وكأنّ الآية الشريفة المتقدمة ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ** ...﴾ نزلت لتسلية النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه ممّا نالهم من المشركين وأمثالهم؛ لأنّ في سماع أخبار الأُمم الماضية تسهيلاً من وقع الخطب عليهم بعد معرفتهم بأنّ البلية لا تختص بهم بل تعمّ غيرهم أيضاً؛ ولذلك يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ**﴾، أي أظننتم وخلتم أيها المؤمنون ﴿**أَن تَدْخُلُوا الْجَنّةَ وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ**﴾، أي تدخلوا الجنّة ولمّا

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

تبتلوا وتمتحنوا بمثل ما ابتُليت به الأُمم السالفة وامتحنوا به، فعليكم بالصبر والثبات كما صبر أُولئك وثبتوا.

وفي ضوء هذا فإنّ معنى المثل هو الوصف، فقوله تعالى: ﴿وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضّرّاءُ﴾[1]، أي لمّا يأتكم وصف الذين خلوا من قبلكم، فلا يدخلون حضيرة الإيمان الكامل إلاّ أن يكون لهم وصف مثل وصف الذين واجهوا المصائب والفتن بصبر وثبات، وعانوا الكثير من القلق والاضطراب كما قال تعالى في حقِّ المؤمنين: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[2].

ففي خضم هذه الفتنة التي تنفد فيها طاقات البشر، فإذا بالرحمة تنزل عليهم من خلال دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وصالح المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾[3].

والجملة ليست إلاّ طلب دعاء للنصر الذي وعد الله به رُسله والمؤمنين بهم واستدعاء له كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[4].

(١) سورة البقرة: ٢١٤.
(٢) سورة الأحزاب: ١١.
(٣) سورة البقرة: ٢١٤.
(٤) سورة الصافات: ١٧٢.

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[١].

يقول الزمخشري في ذلك: ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة، وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة، وتماديه في العظم... فإذا لم يبقَ للرسل صبر حتّى ضجوا، كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح ورائها، وعند ذلك يخاطبون بقوله سبحانه: ﴿أَلاَ إِنّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾[٢]، أي يقال لهم ذلك إجابة إلى طلبتهم من عاجل النصر[٣].

والتعبير القرآني تشبيه لحال الأُمّة الإسلاميّة بالأُمم السابقة في شمولهم بقانون البأساء والضراء والزلزال الإلهي، فإذا قرب نفاد طاقاتهم وصمودهم في المعارك يدعو الرسول ومَن معه من المؤمنين لهم بالنصر والغلبة والنجاح.

(١) سورة المجادلة: ٢٧.

(٢) سورة البقرة: ٢١٤.

(٣) الكشّاف ١ / ٣٥٦.

الابتلاء الإلهي للأنبياء عليهم السلام

الابتلاء الإلهي للأنبياء عليهم السلام

لا شك أنّ أنبياء الله هم أعظم الناس بلاءً واختباراً؛ لأنّ المنزلة التي هم فيها تقتضي ذلك، فكما أنّ الأب في الأُسرة يتحمّل المسؤولية الأعظم والأكبر في قيادة الأُسرة ورعايتها، فإنّ الأنبياء هم سادة البشر وقدوتهم إلى طاعة الله وامتثال أوامره.

وهذه حقيقة واضحة وجلية في القرآن الكريم، وتُعتبر من المبادئ العامّة في دراسة سيرة الأنبياء عليهم السلام:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِه وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً**

(١) سورة السجدة: ٢٣ ـ ٢٤.

فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[1].

إذاً إنّ الأنبياء عليهم السلام هم أشدّ الناس ابتلاءً في طريق التكامل والوصول إلى الدرجات العُليا في التقوى والعبودية له جلّ وعلا.

وقد ورد في الأدعية المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام ما يعضد هذا المعنى ويبيّنه؛ حيث جاء في دعاء الندبة للإمام صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف: « **اللهمّ لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقرّبتهم، وقدّرت لهم الذكر العلي، والثناء الجلي، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرّمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك، وجعلتهم الذريعة إليك، والوسيلة إلى رضوانك**»[2].

نبي الله أيوب عليه السلام والابتلاء الإلهي

تحدّثت بعض الآيات الشريفة عن نبي من أنبياء الله العظماء، وقصته الملهمة التي تحكي المعاناة التي تحمّلها ذلك العبد الصالح

(١) سورة طه: ٤٠.
(٢) إقبال الأعمال ٢: ٥٠٤.

طاعةً لله تعالى وصبراً على قضائه وبلائه، إنّه نبي الله أيوب عليه السلام.

إنّ لأيوب قصةً حزينةً، وهي في الوقت نفسه تبيّن العظمة السامية له خاصة ولكلِّ الأنبياء عليهم السلام الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالة التوحيد عموماً؛ فقد كان صبره وتحمّله كبيرين أمام الحوادث المرّة والأليمة التي عاشها في محنته، إشارة إلى أنّ صبره عليه السلام قد تجاوز المألوف؛ ولذلك لم تُعطَ هذه السمة ـ العبودية ـ لغيره من الأنبياء عليهم السلام كما أُعطيت له عليه السلام، فقد أصبح صبره مضرباً للمثل منذ القدم: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[1].

لكن الآيات الشريفة التي تحدّثت عن قصة أيوب عليه السلام لم تبيّن لنا أو تفصّل نوع البلاء الذي أصابه وقُدّر له، وإنما حذفت التفصيلات المتّصلة بنمط هذا البلاء وطريقة استجابة الله تعالى الدعاء، وأبقت هذه الأشياء ثانوية ما دامت الفكرة الأساسية قد تحددت بوضوح، وهي مسألة الاختبار.

والشيء المهم أنّ الآيات الشريفة قد ركّزت على مرحلة نجاحه وانتصاره على المصاعب التي ألمّت به أثناء ابتلائه بمرضه، واستعادة ما فقده من المواهب من خلال الجزاء الإلهي له.

ويمكن أن نبيّن ما ألمَّ به في محنته وقصته التي عاشها،

(١) سورة ص: ٤٤.

والفرج الإلهي الذي جاءه بعد ذلك من خلال النظر في أمرين:

الأول: إنّ الله تعالى ذكر على لسان أيوب عليه السلام تضرّعه واستكانته له سبحانه، وهذا ما يظهر من قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[1].

ونفهم من هذه الآية الشريفة أنّه عليه السلام قد مسّه الضرّ، وهو المرض، ولهذا المرض أسبابه الطبيعية الظاهرة في البدن.

ويقال في معنى الضرّ أيضاً: إنّه كل ما يصيب الإنسان سواء في بدنه وجسمه أم في روحه ونفسه.

وعلى الرغم من علم الله تعالى واطّلاعه على ذلك الضرّ الذي ألمّ بأيوب عليه السلام، ـ إذ أنّه جلّ وعلا لا تخفى عليه خافية ـ لكن أيوب عليه السلام لم يشكُ ذلك علناً لربّه، وهذا من أدبه عليه السلام مع الله تعالى.

وفي آية أُخرى عبّر القرآن الكريم على لسان أيوب عليه السلام: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾[2].

وأمّا المراد من قوله: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ فهو:

١ ـ أنّ الشيطان تسلّط على بدنه فعمل على إيذائه وإتعابه

(١) سورة الأنبياء: ٨٣.

(٢) سورة ص: ٤١.

ليخرجه من طاعة الله لكنّه لم يستطع ذلك؛ لأنّ أيوب عليه السلام أظهر من الصبر والثبات والطاعة لله ما أعجز الشيطان فردّه خاسئاً مذموماً.

٢ ـ أنّ الشيطان لمّا رأى ابتلاء أيوب بالمرض الشديد أخذ يوسوس له ليخرجه عن طاعة ربّه ويظهر الجزع ممّا ألمّ به، لكنّه عليه السلام أخذ يسأل الله تعالى أن يصرف عنه مكائده ووسوسته، فهو يستعيذ بالله منه.

٣ ـ أنّ الشيطان وسوس لقوم أيوب والمحيطين به حتّى شمت به أقرب الناس إليه، ثمّ وصل الأمر إلى زوجته التي فتنها الشيطان أيضاً، فيكون المعنى أنّ أيوب عليه السلام يشكو لربّه فعل الشيطان وإضلاله أهله وحرفهم عنه[1].

هذه ثلاثة معان صحيحة ومعقولة للآية الشريفة، ولعل القول الثالث هو الأقرب؛ لأنّه ربما يقال: إنّ المرض لا يُنسب إلى إبليس وإنّما يُنسب إلى الله سبحانه وتعالى.

الثاني: أنّه تعالى كشف الضرّ عنه وفرّج كربه: **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾**[2].

فبعد تلك المحنة والابتلاء الإلهيين اللذين تعلّقا بأيوب عليه السلام

(١) بحار الأنوار ٢: ٣٤٧.
(٢) سورة الأنبياء: ٨٤.

استجاب الله تعالى له، وكانت الاستجابة الإلهية له عليه السلام أنّه تعالى كشف ما به من ضرّ، ثم أرجع عليه أهله، وزاده في أجره وجزائه.

وفي آية أُخرى تحدّث القرآن الكريم عن كيفية شفائه ممّا ألمّ به: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ* وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ* وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[1]. يعني أنّ السماء قد طالبت أيوب عليه السلام بأن يغتسل من ماء معين لذهاب المرض الجسمي الذي ألمَّ به، كما طالبته بأن يشرب منه لسبب داخلي، وثالث سكتت عنه النصوص.

لم يذكر القرآن الكريم سبب ابتلاء أيوب عليه السلام بهذا البلاء الشديد والمحنة المضنية، ولكن المفهوم من ذكر الله تعالى لمحنة أيوب عليه السلام بعد ذكره لجملة من قصص الأنبياء الذين تقدّموا عليه، وما اتُّهموا به من التكذيب من قبل قومهم، وعرض الصعوبات التي واجهتهم في تبليغ الرسالة الإلهية ـ كما في سورة الأنبياء وسورة محمد ـ المفهوم من هذا السياق والقصص القرآني لحياة الأنبياء عليهم السلام أنّ هذا الأمر هو من باب الابتلاء الإلهي والامتحان الربّاني؛ فقد جعل الله تعالى نبيّه أيوب عليه السلام أكثر الأنبياء عرضة

(١) سورة ص: ٤٢ ـ ٤٤.

للشدة المتمثلة في جسده وأهله وممّن يتصل به اجتماعياً؛ لوصوله إلى الدرجات الرفيعة التي ادّخرها الله لأنبيائه وعباده الصالحين.

وهكذا يتدرّج القرآن الكريم في عرض قصص الأنبياء عليهم السلام ونجاحهم في الصبر على البلاء، فبعد ذكره لقصة أيوب عليه السلام ذكر الله تعالى إبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً فيهم: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ**﴾[1].

فهؤلاء الأنبياء هم عباد الله المخلَصون، وهم عباده المصطَفَون أيضاً، لكن هذا الاصطفاء الإلهي لا يكون عبثاً، وإنّما يكون بعد الاختبار والابتلاء الإلهي؛ فالله تعالى أخلصهم له بعد العروج عن الدنيا وملذّاتها وشهواتها، والصعود إلى العالم الأرفع والأعلى، وهو الآخرة ولقاء الله تعالى، ولذا يقول سبحانه: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾[2]، فإنّهم عليهم السلام لم ينسوا تلك الدار الآخرة ويلهوا عنها بالدنيا.

---

(١) سورة ص: ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) سورة ص: ٤٦.

منزلة الأنبياء
في
مدرسة أهل البيت عليهم السلام

منزلة الأنبياء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

وفي ضوء ما طرحناه وبيّناه من خلال هذا البحث المقتضب فإنّنا نحاول أن نقف عند قصة نبي الله أيوب عليه السلام وغيرها ممّا يقال في قصص الأنبياء وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونحاكم ما ورد فيها.

ونستطيع توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

أوّلاً: أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الذنب والمعصية سهواً وعمداً، وكل ما يرد في الأخبار والروايات ممّا يتناقض مع هذا المبدأ فهو مرفوض ومردود على ناقله.

ثانياً: إذا ورد في القرآن الكريم ما ظاهره نسبة المعصية أو الذنب أو الخطأ فإنّ ذلك يُؤوّل مع ما يتناسب ومنزلة الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم محكومون في تصرّفاتهم بالعصمة وعن كل ما ينفّر من السلوك والأقوال والأفعال والأوصاف؛ لأنّ الاشتمال على المنفّر ممّا ينافي الغاية من البعثة، ويستحيل على الله تعالى أن يبعث نبياً

ينفّر الناس عن الدعوة التي بعث بها بشيء في سلوكه أو أقواله أو عاهة في جسمه.

فلو فرضنا جدلاً أنّ نبياً كذب ـ والعياذ بالله ـ فإنّ ذلك يوجب الشك في إخباره وتبليغه الأحكام الإلهية، وهذا يوجب عدم سكون النفس إليه والاطمئنان لأقواله وإخباراته، وهذا ينافي الهدف الإلهي من بعثة الأنبياء وإرسالهم.

وعلى هذا فكل شيء يوجب تنفير الناس وابتعادهم أو تشكيكهم في إخبار النبي أو أفعاله وأقواله وبعثته فهو ممنوع عقلاً.

وهذا ما تفرّعت عليه جملة من العقائد في باب النبوّات، وهي:

١ ـ أنّ النبي لا يُولد إلاّ من أبوين طاهرين مؤمنين، وكذا الأئمة عليهم السلام، وخلاف ذلك فإنّه يوجب التنفير من النبي وعدم القبول بأقواله والاطمئنان إلى دعوته؛ ومن هنا قلنا: إنّ آباء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله طاهرون مطهّرون، وهم موحّدون وليسوا كافرين، وهكذا آباء الأئمة عليهم السلام.

٢ ـ لا يجوز على نبي من الأنبياء أن يأتي بفعل ينافي الشريعة الإلهية والأحكام الأخلاقية، ولا ما تعارف عليه العقلاء من الآداب والعادات.

٣ ـ أنَّ الأنبياء عليهم السلام هم من البشر، ويقع عليهم البلاء الإلهي

بأشدّه، لكن لا يجوز أن يشتمل ذلك البلاء على ما ينافي عصمتهم والهدف من بعثتهم؛ لأنّ وجود هذه الأشياء لا تجتمع مع الغايات السامية.

ومن هنا نعرف أنّ ما ورد في قصة أيوب عليه السلام من أنّه مرض حتّى سكن الدود في جسمه واستقذره الناس تلفيق وتزييف لا يليق بمقام الأنبياء السامي والشريف، وهو ممّا ينافي الهدف من بعثته وإرساله عليه السلام، فأيّة فائدة من ذلك وقد رماه قومه في مزبلة خارج القرية كما روّجت لذلك الإسرائيليات[1]!

قال السيد المرتضى: (فأمّا ما روي في هذا الباب عن جملة (جهلة) المفسّرين فممّا لا يلتفت إلى مثله؛ لأنّ هؤلاء لا يزالون يضيفون إلى ربّهم تعالى وإلى رُسله عليهم السلام كلَّ قبيح ومنكر، ويقذفونهم بكلِّ عظيم. وفي روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمّله المتأمّل علم أنّه موضوع باطل مصنوع؛ لأنّهم رووا أنّ الله تعالى سلّط إبليس على مال أيوب عليه السلام وغنمه وأهله، فلما أهلكهم ودمّر عليهم ورأى من صبره عليه السلام وتماسكه، قال إبليس لربّه: يا ربّ، إنّ أيوب قد علم أنّك ستخلف عليه ماله وولده فسلّطني على جسده. فقال تعالى: قد سلّطتك على جسده كلّه إلاّ قلبه وبصره.

(١) تفسير ابن كثير ٤ :٤٣.

قال: فأتاه فنفخه من لدن قرنه على قدمه فصار قرحة واحدة، فقُذف على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف الدواب على جسده... إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله، فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته)[1]؟!

وقال الشيخ الطبرسي: «قال أهل التحقيق: إنّه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها؛ لأنّ في ذلك تنفيراً، فأمّا المرض والفقر وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك»[2].

(١) الأمالي ٢: ١٢٨.

(٢) مجمع البيان ٨: ٣٦٤.

روايات أهل البيت عليهم السلام
في بيان
سبب ابتلاء نبي اللّه أيوب عليه السلام

روايات أهل البيت عليهم السلام
في بيان سبب ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام

لماذا ابتلي أيوب؟

في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بيان واضح لما أسّسنا عليه من أنّ أيوب عليه السلام كان بعيداً عمّا أُلصق به من الأمراض المنفّرة، فهو قد حلّ به البلاء لكن لا لعيب فيه أو لذنب اقترفه، وإنّما ابتلاه الله تعالى ليرفع من درجته وشأنه عنده عزّ وجلّ، وهذا ما توضّحه روايات أهل البيت عليهم السلام والتي منها:

١ ـ عن الإمام جعفر الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال: «**إنّ أيوب عليه السلام ابتُلي من غير ذنب، وإنّ الأنبياء لا يذنبون لأنّهم معصومون مطهّرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً؛ صغيراً ولا كبيراً**»[1].

٢ ـ وقال عليه السلام: «**إنّ أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتُلي به لم تنتن**

---

(١) الخصال : ٣٩٩.

لـه رائحـة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قـيح، ولا اسـتقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا يُـدوّد شـيء مـن جـسده، وهكذا يصنع الله عزّ وجل بجميع مَن يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه. وإنّما اجتنبه الناس لفقره وضـعفه فـي ظاهـر أمره؛ لجهلهم بما له عند ربّه تعالى ذكره من التأييد والفرج، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

وإنّما ابتلاه الله عزّ وجلّ بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جمـيع الـناس لـئلاّ يدّعـوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظائم نعمه متى شاهدوه؛ ليستدلوا بذلك على أنّ الـثواب مـن الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص؛ ولئلاّ يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه؛ ولـيعلموا أنّـه يسقم مَن يشاء ويشفي مَن يشاء، متى شاء كيف شاء، بأيِّ سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمَن يشاء، وشقاوة لمَن يـشاء وسعادة لمَن يشاء، وهو في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكـيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم، ولا قوة لهم إلاّ به»[1].

(١) الخصال: ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

فالبلاء الإلهي للأنبياء الطاهرين يرفع من درجتهم ومنزلتهم عند الله، وهو التفسير الصحيح لفهم القرآن وخصوصاً فيما يتعلّق بفهم سيرة الأنبياء عليهم السلام، وهذا ما تقدّمه مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الوقت الذي عجزت عن تأسيسه وبيانه المدارس الكلامية والتفسيرية الأُخرى.

الأنبياء عليهم السلام والإسرائيليات
في روايات العامة

الأنبياء عليهم السلام والإسرائيليات في روايات العامة

قصص الأنبياء عليهم السلام والإسرائيليات

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[1].

إنّ الآية الكريمة لم تذكر نوع المحنة التي أصابت نبي الله أيوب عليه السلام، وهنا نود الإشارة إلى تفاصيل قصته ومحنته عليه السلام في الروايات. لكن قبل الدخول في ذلك ننبّه على أنّ الإسرائيليات الموضوعة في الروايات قد أخذت دورها الواسع في هذه القصة التي تحكي أدب الأنبياء مع الله تعالى حتّى في حالات المحنة والابتلاء الشديدين.

والغرض من هذه الإسرائيليات هو تشويه صورة الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ كي لا تبقى لهم تلك القدسية والمكانة في نفوس المؤمنين.

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٣.

والخطر العظيم الذي يداهمنا كمسلمين من هذه الأكاذيب والأضاليل أنّها تدخّلت في بعض الأفكار الإسلاميّة، وعلينا نحن كمسلمين أن نلتفت إلى أنّه ربما قد يصبح هذا الفكر اليهودي والإسرائيلي رافداً في بناء وتكوين بعض عقائد المسلمين غير المدركين لهذه الحقيقة؛ وذلك لأنّ هذه الإسرائيليات قد لعبت دوراً في تكوين الرؤية الإسلاميّة في كثير من القضايا الحساسة في الفكر الإسلامي في غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أمّا مدرسة أهل البيت عليهم السلام فقد رفضت منذ البدء أن يُفسح المجال لدخول هذه الأفكار في الحديث الإسلامي بشكل خاص أو الحديث الديني بشكل عام.

يقول الشيخ أبو زهرة في ذلك: «ظهر القصص في عهد عثمان، وكرهه الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ حتّى أخرج القصّاصين من المساجد؛ لما كانوا يضعونه في أذهان الناس من خرافات وأساطير بعضها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف وعراها التغيير.

قال: وقد كثر القصّاص في العصر الأُموي، وكان بعضه صالحاً وكثير منه غير صالح، وربما كان هذا القصص هو السبب في دخول كثير من الإسرائيليات في كتب التفسير وكتب التاريخ الإسلامي.

وإنّ القصص في كل صوره التي ظهرت في ذلك العصر كان أفكاراً غير ناضجة تلقى في المجالس المختلفة، وإنّ من الطبيعي أن يكون بسببها خلاف، وخصوصاً إذا شايع القاص صاحب مذهب أو زعيم فكرة أو سلطان، وشايع الآخر غيره؛ فإن ذلك الخلاف يسري إلى العامة، وتسوء العقبى، وكثيراً ما كان يحدث ذلك في العصور الإسلاميّة المختلفة»[١].

ويقول أحمد أمين: «**وقد نما القصص بسرعة؛ لأنّه يتّفق مع ميول العامة وأكثر القصّاص من الكذب، حتّى رووا أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طردهم من المساجد**»[٢].

لقد امتلأت كثير من كتب التفسير والأحاديث بالروايات التي تحدّثت عن قصة أيوب عليه السلام، وهي في معظمها من الروايات الموضوعة والأساطير والخرافات التي رواها الجهّال والوضّاعون وأصحاب المآرب الخبيثة؛ وذلك لأجل تمزيق الرمزية المقدّسة لأنبياء الله تعالى.

وغير خفي على مَن تأمّل في هذه الروايات والأقاصيص الباطلة وقراءتها قراءة واعية فإنّه سوف يصل إلى أهدافها

(١) المذاهب الإسلامية: ٢٠.

(٢) فجر الإسلام (أحمد أمين): ١٥٩ ـ ١٦٠.

ومنطلقاتها، وهي ترسيخ الرؤية التوراتية واليهودية، وتفسير النصّ القرآني المقدس تفسيراً يجعل الوعي الإسلامي منحرفاً عن الحق الذي جاء به القرآن الكريم والسنّة النبوية الصحيحة الحقّة الواردة عن النبي وأهل بيته الأئمة الهداة عليهم السلام.

وغير خفي على أصحاب العلم بين ما تحكيه التوراة وهي تصف الأنبياء وبين هذا النمط المزيّف من الروايات التي امتلأت وغصّت به كتب التفسير وغيرها من التشابه في المنهج والرؤية.

نسبة الشرك إلى آدم وحواء

قال أحمد في مسنده عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: ولما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث (والحارث اسم شيطان) فإنّه يعيش، فسمّته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره[1].

نبي الله إبراهيم عليه السلام والكذب

روى البخاري عن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قطّ إلّا ثلاث كذبات؛ اثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[2]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذَا﴾[3]. وواحدة في

(١) مسند أحمد ٥: ١١.
(٢) سورة الصافات: ٨٩.
(٣) سورة الأنبياء: ٦٣.

شأن سارة، فإنّه قدم أرض جبّار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إنّ هذا الجبار إن يعلم أنّك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فاخبريه أنّكِ أُختي؛ فإنّك أُختي في الإسلام، فإنّي لا أعلم في الأرض مسلماً غيرك وغيري[١].

وحسب البخاري هذا، فإنّ الله تعالى قد حرم إبراهيم عليه السلام من الشفاعة لأجل كذبه حسب ما يرويه البخاري، فقد ذكر رواية عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه عن ذلك ـ أنّ الناس يأتون النبي إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنتَ نبي الله وخليله في الأرض، اشفع لنا إلى ربّك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إنّ ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد كنت كذّبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي[٢].

نبي الله موسى عليه السلام وملك الموت

وفي صحيحه ـ أعني البخاري ـ أيضاً عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلمّا جاءه صكّه، فرجع إلى ربّه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت! فردّ الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكلِّ ما غطّت يده بكلِّ شعرة سنة.

(١) صحيح البخاري ٤: ١٧١.

(٢) صحيح البخاري ٦: ١٠٥.

قال: أي ربِّ، ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر[1].

وغيرها الكثير من الروايات المكذوبة والمدسوسة على رسول الله صلى الله عليه وآله في مصادر الحديث المعتبرة عند القوم.

نبي الله أيوب عليه السلام والشيطان

ذكر الطبري أنّ الله تعالى سلّط الشيطان على أيوب عليه السلام لابتلائه، فأخذ الشيطان ماله وأولاده، ثم إنّ الله تبارك وتعالى قال لإبليس: كيف رأيت أيوب؟ قال إبليس: إنّ أيوب قد علم أنّك سترد عليه ماله وولده، ولكن سلّطني على جسده، فإن أصابه الضرّ فيه أطاعني وعصاك.

قال: فسلّط على جسده، فأتاه فنفخ فيه نفخة قُرح من لدن قرنه إلى قدمه.

قال: فأصابه البلاء بعد البلاء حتى حُمِلَ فوضع على مزبلة كناسة لبني إسرائيل، فلم يبقَ له مال ولا ولد، ولا صديق ولا أحد يقربه غير زوجته صبرت معه بصدق، وكانت تأتيه بطعام، وتحمد

(١) صحيح البخاري ٢: ١١٣.

الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله، والتحميد والثناء على الله، والصبر على ما ابتلاه الله.

قال الحسن: فصرخ إبليس عدو الله صرخةً جمع فيها جنوده من أقطار الأرض؛ جزعاً من صبر أيوب، فاجتمعوا إليه وقالوا له: جمعتنا، ما خبرك؟ ما أعياك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربّي أن يسلّطني على ماله وولده فلم أدع له مالاً ولا ولداً، فلم يزدد بذلك إلاّ صبراً وثناءً على الله وتحميداً له. ثمّ سُلّطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بني إسرائيل لا يقربه إلاّ امرأته؛ فقد افتضحت بربّي، فاستعنت بكم فأعينوني عليه.

قال: فقالوا له: أين مكرك؟ أين علمك الذي أهلكت به مَن مضى؟

قال: بطل ذلك كلّه في أيوب، فأشيروا عليَّ. قالوا: نشير عليك؛ أرأيت آدم حين أخرجته من الجنّة، من أين أتيته؟ قال: من قِبل امرأته. قالوا: فشأنك بأيوب من قِبل امرأته؛ فإنّه لا يستطيع أن يعصيها، وليس أحد يقربه غيرها. قال: أصبتم.

فانطلق حتّى أتى امرأته وهي تصدق، فتمثّل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحكّ قروحه، ويتردد الدواب في جسده. فلمّا سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوقع في صدرها فوسوس إليها؛ فذكّرها ما كانت فيه من النِعم

والمال والدواب، وذكّرها جمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضرّ، وأنّ ذلك لا ينقطع عنهم أبداً.

قال الحسن: فصرخت، فلمّا صرخت علم أن قد جزعت، فأتاها بسخلة، فقال: ليُذبح هذا إلى أيوب ويبرأ.

قال: فجاءت تصرخ: يا أيوب! يا أيوب! حتى متى يعذبك ربّك، ألا يرحمك؟! أين الماشية؟! أين المال؟! أين الولد؟! أين الصديق؟! أين لونك الحسن؟! قد تغيّر وصار مثل الرماد! أين جسمك الحسن الذي قد بلي وتردد فيه الدواب؟! اذبح هذه السخلة واسترح.

قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك فوجد فيك رفقاً وأجبته، ويلك! أرأيت ما تبكين عليه ممّا تذكرين مما كنّا فيه من المال والولد والصحة والشباب؟ من أعطانيه؟ قالت: الله. قال: فكم متّعنا به؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر.

قال: ويلك! والله ما عدلتِ ولا أنصفتِ ربّكِ، ألا صبرتِ حتّى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربّنا به ثمانين سنة كما كنّا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله، لئن شفاني الله لأجلدنّك مائة جلدة. هيه! أمرتيني أن أذبح لغير الله! طعامكِ وشرابكِ الذي تأتيني به عليَّ حرام، و[حرام] أن أذوق ما تأتيني به بعد إذ قلتِ لي هذا، فاغربي

عنّي فلا أراك. فطردها، فذهبت، فقال الشيطان: إنّ هذا قد وطّن نفسه ثمانين سنة[١].

ونحن إنّما نقلنا هذا النص الطويل لبيان الحقيقة ومعرفة على أيِّ شيءٍ يعتمد القوم في بيان القصص القرآني. وقد ذكر مثل هذا مجموعة من المفسرين حتى أنَّ القرطبي قد نسب هذه الرواية والقصة التي ذكرها إليهم[٢].

وفي (الدر المنثور) قال السيوطي: عن عبد الرحمن بن جبير (رضي الله عنه) قال: ابتُلي أيوب عليه السلام بماله وولده وجسده، وطُرح في المزبلة، فجعلت امرأته تخرج فتكتسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان بذلك، فكان يأتي أصحاب الخير والغنى الذين كانوا يتصدّقون عليها فيقول: اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم؛ فإنّها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها، فالناس يتقذّرون طعامكم من أجلها، إنها تأتيكم وتغشاكم. فجعلوا لا يدنونها منهم، ويقولون: تباعدي عنّا ونحن نطعمك ولا تقربينا. فأخبرت بذلك أيوب عليه السلام فحمد الله تعالى على ذلك[٣].

هذا ما روته لنا كتب المفسرين في قصة أيوب عليه السلام، وأنّ

(١) جامع البيان ١٧ : ٩٢.
(٢) تفسير القرطبي ١٨ : ٢٨٠.
(٣) الدر المنثور ٥ : ٣١١.

المرء ليحار وهو يقرأ مثل هذه الأقوال والأساطير في توصيف الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله وطهّرهم.

وليس هذا ببعيد عن الذهنية التي حكمت رجال الحديث الذين ينتمون إلى النهج والفكر نفسه في تقييم الأنبياء عليهم السلام، فالبخاري ـ وهو شيخ الأئمة المحدّثين وأصحاب المدرسة الروائية ـ ينقل لنا الأعاجيب في استعراضه لسيرة بعض الأنبياء عليهم السلام.

الدروس والعبر
في
قصة نبي اللّه أيوب عليه السلام

الدروس والعبر في قصة نبي الله أيوب عليه السلام

انطلاقاً من الفلسفة القرآنية في سرد التاريخ وبيان الأحداث، فإنّ في هذه القصص مواعظَ وعبراً ودروساً يستفيدها الإنسان إذا تأمّلها وأدركها بشكل تام.

ويتأكد هذا الأمر عندما يتحدّث التاريخ عن شخصية مهمّة تُعتبر قدوةً ونموذجاً في مسيرة الإنسان وتكامله ورقيّه. وإنّ من أحسن هذه القصص وأكثرها عبرة هو ما ينقله لنا القرآن الكريم عن الأنبياء والأولياء الصالحين عليهم السلام.

وفي ضوء منطق القرآن الكريم فإنّ قصص الأنبياء عليهم السلام هي البوابة السليمة والصحيحة التي يمكن للإنسان أن يدخل من خلالها إلى طريق الهداية والفلاح والتكامل.

يقول الله جلّ وعلا بعد ذكر مجموعة من أنبيائه الذين هم قدوة البشر: ﴿**وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ**

وَهَدَيْـنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* ذلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هؤُلاَءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ* أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

وعلى الرغم من أنّ قصة هذا النبي الصابر أُدرجت في أربع آيات من هذه السورة، إلاّ أنّها وضّحت حقائق مهمة، وهي:

١ ـ أنَّ الامتحان الإلهي واسع وكبير جداً يشمل الأنبياء كما يشمل غيرهم، بل امتحانهم ـ الأنبياء عليهم السلام ـ أشدّ وأصعب من الآخرين؛ لأنّ طبيعة الحياة في هذه الدنيا بُنيت على هذا الأساس، ومن دون هذا الامتحان والاختبار فإنّ الإمكانيات والطاقات الكامنة في الإنسان لا يمكن لها أن تتفجر أو تخرج إلى أرض الواقع.

٢ ـ أنَّ الفرج بعد الشدة، وهي نقطة أُخرى تكمن في أحداث قصة أيوب عليه السلام، فعندما تشتد أمواج الحوادث والبلاء على الإنسان وتحيط به من كل جانب، عليه ألاّ ييأس ويفقد الأمل، وإنّما يدرك

(١) سورة الأنعام: ٨٧ ـ ٩٠.

أنّها بداية تفتح أبواب الرحمة الإلهية عليه، كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ البَلاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ**»[1].

٣ ـ أنّ الأحداث التي شكّلت قصة البلاء الإلهي لنبي الله أيوب عليه السلام توضّح بصورة جيدة بعض غايات البلاء والحوادث الصعبة في الحياة، وترد على مَن يرى في وجود الآفات والبلايا تناقضاً مع برهان النظم في بحوث التوحيد؛ لأنّ وجود مثل هذه الحوادث الصعبة والشديدة في حياة الإنسان ـ من أنبياء الله الكبار وحتّى عموم الناس ـ يُعد أمراً ضرورياً، فالامتحان ـ كما ذكرنا ـ يفجّر طاقات الإنسان الكامنة، ويوصله إلى مدارج الإيمان في رقيّه وتكامله.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) بحار الأنوار ٦٨ : ٩٦.

المصادر

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة

٢- إقبال الأعمال/ ابن طاووس

٣- الأمالي/ السيد المرتضى

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

٥- بحار الأنوار/ الشيخ المجلسي

٦- البيان في تفسير القرآن/ الشيخ الطوسي

٧- جامع البيان/ الطبري

٨ - الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي

٩- الخصال/ الشيخ الصدوق

١٠- الدر المنثور/ السيوطي

١١- صحيح البخاري/ إسماعيل ابن إبراهيم البخاري

١٢- فجر الإسلام/ أحمد أمين

١٣- القصص القرآنية/ الشيخ السبحاني
١٤- الكافي/ الشيخ الكليني
١٥- الكشاف/ الزمخشري
١٦- لسان العرب/ ابن منظور
١٧- مجمع البحرين/ فخر الدين الطريحي
١٨- مجمع البيان/ الطبرسي
١٩- المذاهب الإسلامية/ أبو زهرة
٢٠- مسند أحمد/ أحمد الشيباني
٢١- الميزان في تفسير القرآن/ العلامة الطباطبائي

الفهرس

الإهداء ٧

المقدمة ٩

بحوث عامة ١٥

الابتلاء في آيات الذكر الحكيم ١٧

سنة الابتلاء ١٩

حتمية الفتنة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ٢٠

الاختبار الإلهي... لماذا؟ ٢١

الاختبار الإلهي عام ٢٤

طرق الاختبار ٢٥

أولاً: الاختبار بالخير والشر ٢٧

ثانياً: الابتلاء بالبأساء والضراء ٣٠

الابتلاء الإلهي للأنبياء عليهم السلام ٣٥

الابتلاء الإلهي للأنبياء عليهم السلام ٣٧

نبي الله أيوب عليه السلام والابتلاء الإلهي ٣٨

منزلة الأنبياء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٤٥

منزلة الأنبياء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٤٧

روايات أهل البيت عليهم السلام في بيان سبب ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام ... ٥١

لماذا ابتلي أيوب؟ ٥٣

الأنبياء عليهم السلام والإسرائيليات في روايات العامة ٥٧

قصص الأنبياء عليهم السلام والإسرائيليات ٥٩

نسبة الشرك إلى آدم وحواء ٦٢

نبي الله إبراهيم عليه السلام والكذب ٦٢

نبي الله موسى عليه السلام وملك الموت ٦٣

نبي الله أيوب عليه السلام والشيطان ٦٤

الدروس والعبر في قصة نبي الله أيوب عليه السلام ٦٩

الدروس والعبر في قصة نبي الله أيوب عليه السلام ٧١

المصادر ٧٥

الفهرس ٧٧